الإلتفات والإعتراض في البلاغة قديماً وحديثاً

Attention And Objection In Rhetoric

In The Past And Present Time

أ. م. د. فيصل سلمان مناحي

الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Faisal Salman Manahi

Al-Mustansiriya University / College of Education

Department of Arabic Language

General specialty / Arabic language

Subspecialty / Rhetoric

dr.faisal.s@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

الالتفات والاعتراض من الأساليب البلاغية المهمة، وقد مر المصطلحان مراحل عدّة تفسيرية وتركيبية وتعريفية منذ ظهورهما الأول على يد النحويين، وعدم استقرار المصطلحين، ومن ثم كان لعلماء التفسير أثر مهم في توجيه مسارهما الدلالي والبياني إلى وصولهما عند البلاغيين الذين منحوهما القيمة المعيارية والمساحة اللغوية الواسعة ومنحوهما استقراراً وثبوتاً.

بحثنا سياحة تأريخية وأدبية للغوص في البداية والنهاية للظاهرتين البلاغيتين اللّتين شغلتا المتخصصين، ومحاولة ذكر أسباب الاقتراب والافتراق بينهما، واهم فوائدهما البلاغية.

الكلمات المفتاحية: الالتفات، الاعتراض، المصطلح، الاقتراب، الافتراق.

Abstract:

Attention and objection are important rhetorical methods, the two terms have gone through several explanatory, structural and definitional stages since their first appearance by the grammarians, the two terms were not stable, the explanation scientists had an important impact in guiding their semantic and graphic path, until they reached to the grammarians who gave them the standard value and the wide linguistic space and give them stability.

Our search is a historical and literary tourism for diving in the beginning and the end of the two rhetorical phenomena, which occupied the specialists and tried to mention the reasons for the approach and separation between them and their most important rhetorical benefits.

key word: Attention, objection, term, approach, separation.

* * *

المقدمة

شكلتا ظاهرتا الالتفات والاعتراض معياراً بلاغياً مؤثراً في محيط وجودهما في النصوص الأدبية وآيات القرآن الكريم، وقد عمدنا إلى استقراء مراحل تطور مفهوم المصطلحين قديماً وحديثاً، فضلا عن تعريفهما لغة واصطلاحاً ومحاولة معرفة الأسباب التي دعت إلى الخلط بينهما، وبيان نقاط الاختلاف والاستقلالية لكل واحد منهما. فضلا عما لهما من أثر في الدراسات اللسانية والأسلوبية الحديثة وهو دليل عمقهما اللغوي وأثرهما الدلالي، في منح اللغة العربية من سعة وانزياح وتجدد مستمر ليس له انقطاع.

أولا: الالتفات لغة واصطلاحا

أ. الالتفات لغة: لفت وَجهَهُ عن القوم: صرفه والتفت التفاتاً والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء، والتلفت إليه صرف وجهه إليه، ويقال: لَفَتُّ فلاناً عن رأيه أي صرفته عنه ومنه الالتفات. فاللفت هو الصرف، يقال: ما لفتك عن فلان أي: ما صرفك عنه، واللِّفتُ عن الرجل بكسر الفاء لفِتا: حمق وعمل بشماله دون يمينه. واللفتاء هي الحولاء، واللَّفوتُ من النساء كثيرة التلفت، وألتفت عنه أي أعرض عنه، وصرف وجهه إليه. وقيل: اللَيُّ: هو أن ترمي به إلى جانبك، ولفته عن الشيء يلفته لفتاً: صرفه. وكذلك تمت الإشارة إلى أنّه صرفه عن رأيه وهو الالتفات والتلفت.(١)

وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، إلا ان المعنى اللغوي ظلَّ ثابتاً، وهو الصرف والانصراف من جهة إلى جهة أخرى، ففي قوله تعالى: ((قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ)).(٢) وكذلك في قوله تعالى: ((قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)).(٣)

(١) ينظر: الصحاح في اللغة، فصل اللام للجوهري (٣٩٣ ه)، الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٥٥٣٨) المجلد ٣ ص٣٢٤، معجم البلدان ابن عساكر (٥٥٧١) ٢٠/٥، لسان العرب ابن منظور (٧١١ه) مادة لفت، القاموس المحيط الفيروز ابادي (٨١٧ه) مادة لفت.

(٢) يونس ٧٨.

(٣) هود ٨١.

ويقول المولى (عزّ وجلّ) في موضوع آخر من الكتاب العظيم: ((فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ)).(١)

ب. الالتفات اصطلاحا: الالتفات في اصطلاح البلاغيين: هو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر، أي نقل الكلام من أسلوب إلى آخر من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الواحد إلى الجمع ومن الخطاب إلى التكلم ومن التكلم إلى الخطاب.

ويعرف بأنه العدول من أسلوب في الكلام إلى آخر مخالف للأول. ويرجع أصل تسمية المصطلح البلاغي (الالتفات) إلى الاصمعي (ت٢١٦هـ). وقد ورد باسمه الصريح ثلاث مرات في القرآن الكريم. اما في الإنكليزية فكلمة (Enallage) هي كلمة من أصل اغريقي تعني (الاستبدال).

والالتفات هو عند أهل البلاغة والبيان: التعبير عن معنى من المعاني بأحد الطرق الثلاثة: التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنها بطريق آخر منها. وتم استعمال الالتفات ما يقارب تسعمائة مرة في كتاب الله العزيز وهو يعدُّ من أجلّ علوم البلاغة، وهو أمير جنودها والواسطة في قلائدها وعقودها وهو فن ملاكهُ الذوق السليم والوجدان الصادق، ويسمى كذلك بـ(الشجاعة العربية) لأن الشجاعة هي الأقدام.(2)

ومما لا شك فيه أنّه ((لون من ألوان الصياغة يعين ذا الموهبة الصادقة على الإيحاء بكثير من اللطائف والأسرار، ويلفت النفس المتلقية الواعية إلى كثير من المزايا، وكلما أمعنت النظر في مواطنه من الكلام الرفيع بانت لك وجوه من الحسن تزيدك أحساناً بقدرته)).(٣)

ويبدو مما تقدم أنّ علماء البلاغة أجمعوا على كون الالتفات هو عبارة عن انتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر. أما المصطلحات التي وردت في تعريفاتهم كالصرف والتلون والانصراف والانتقال والعدول سوى نعوت لمصطلح واحد هو الالتفات.(٤)

ويحق لنا بعد ذلك القول: إن الالتفات هو أحد الفنون البلاغية المهمة والأصيلة في العربية، وقد أشار إليه البلاغيون تناقلوه مفهوماً عريقاً أصيلاً مستقراً تابعاً لاستقراء البلاغة ذاتها.

---

(١) الحجر ٦٥.

(٢) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ١٣١/٢، البلاغة تطور وتاريخ ٣٠، الأخطاء اللغوية ونظرية الالتفات.

(٣) خصائص التراكيب، ١٩٤.

(٤) ينظر: فن الالتفات في مباحث البلاغيين، ٧٠.

ثانيا: الالتفات قديماً

يُعد الالتفات من الأساليب البلاغية المؤثرة التي شكلت ظاهرة شغلت علماء اللغة والبلاغة والأدباء والشعراء على حد سواء.

ولابد لي حين الحديث عنها قديما من استذكار أسماء علماء اللغة وللبلاغة الذين كان لهم القول المهم والفاعل في استقرار المصطلح فضلا عما وجدتُ من تباين كبير في وضع هذه الظاهرة البلاغية على وجه التحديد في أي قسم من أقسام البلاغة الثلاثة المعروفة (المعاني والبيان والبديع)، وكذلك كان لعلماء اللغة قولهم ورأيهم في تحديد مسار المعنى خدمة للتفسير القرآني، وخدمة للقراءات القرآنية. ولم يطلق اسمه الصريح أبداً، بل عدّوه تحوّلاً لغويّاً، أو رجوعاً أو انصرافاً، ولم يذكر أحد منهم مصطلح الالتفات.

أما علماء البلاغة فدورهم أكثر وضوحاً وأكثر تأثيراً وهم من تبنوا هذا المصطلح، وغاصوا في دهاليزه وأنواعه وتقسيماته وأثره الدلالي في الجملة العربية. من هنا يتضح لنا الأثر المهم الذي مارسه علماء البلاغة في تحديد مسار هذا المصطلح وإبراز طاقاته في مسألة العدول والتوسع والتأثير من خلال جماله ودلالاته في الجملة العربية.

فمن عدَّ الالتفات من علم البديع، ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) وأبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) والباقلاني (ت٤٠٣ه) وابن الزملكاني (ت٦٥١هـ) وحازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، الذي يقول: (اعلم ان الانعطاف بالكلام من جهة إلى أخرى أو غرض إلى آخر انما يسنح للخاطر سنوحاً بديهياً ويلاحظه الفكر المتصحف بالتفاتاته إلى كل جهة ومنحى من انحاء الكلام).[١] ومن ثم يعدّ حازم القرطاجني صاحب مصطلح الصورة الالتفاتية: إذ قال: (والصورة الالتفاتية هي ان يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المأخذ والاغراض وان ينعطف من أحداهما إلى الآخر انعطافاً ليناً من غير واسطة تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة من التحول).[٢] اما من عد الالتفات من علم البيان الأخفش الأوسط (ت٢١٥ه) والزمخشري (ت٥٣٨هـ)، أما لماذا عده من علم البيان لأنه يرى أن الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى آخر يكون ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع مما يولد إيقاظاً للذهن، ويكون الاصغاء أفضل مما لو كان على أسلوب واحد.[٣] كذلك ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) الذي جعله خلاصة علم البيان إذ يقول: ((وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يُدنْدَن وإليها تستند

(١) منهاج البلغاء وسراج الادباء ص٣١٥.
(٢) نفسه ٣٦٢.
(٣) ينظر: الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الاقاويل ٣٢/١.

البلاغة وعنها يعنعن. وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا)).[١]

اما من عدَّ الالتفات من علم المعاني أبو يعقوب السكاكي (ت٦٢٦هـ) إذ قوله: ((ما علم ان هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتهن ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني)).[٢]

كذلك يحيى العلوي (ت٧٤٥هـ) الذي عدّه من علم المعاني؛ لأنه يرى الالتفات من العدول ومخالفة الأسلوب، لكنّه ركز على الغيبة والخطاب لا غير.[٣]

ومن العلماء من أطلق مصطلح (تلّون الخطاب) أو (تلوين الخطاب) على الالتفات لاسيما عند المفسرين ومنهم الواحدي (ت٤٦٨هـ) الذي ذكر عند تفسيره سورة طه [الآية ٥٣]: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً) يريد المطر. وتم هنا جواب موسى، ثم تلون الخطاب وقال الله تعالى: (فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ).[٤] وكذلك القرطبي (ت٦٧١هـ) عند كلامه عن سورة الإسراء إذ قال في قوله تعالى: (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) (هذا من باب تلوين الخطاب).[٥] وآخرون نعتوه بالترك والانصراف منهم المبرد (ت٢٨٥هـ)، وأسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) وابن أبي الاصبع المصري (ت٦٥٤هـ) الذي قال: ((ان يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين، ثم يخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني، ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثاني إلى الإخبار عن الأول، كقوله تعالى: (إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ)[٦] انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربِّه تعالى، ثم قال منصرفاً عن الإخبار عن ربه إلى الإخبار عن الإنسان قال تعالى: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)[٧]، وهذا يحسن أن يسمى التفات الضمائر)).[٨]

---

(١) المثل السائر ٢/١٧٠.
(٢) مفتاح العلوم ٣٥.
(٣) ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٢/١٣٢.
(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٦٩٧.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢١٢.
(٦) العاديات/ ٧٢٦.
(٧) العاديات/ ٨.
(٨) بديع القرآن ٤٥.

وهناك من أطلق تسمية (التحويل والرجوع) على أسلوب الالتفات منهم الفراء (ت٢٠٧هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٨ه)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، وابن فارس (ت٣٩٥هـ)، والعكبري (ت٦١٦هـ)، فهذا معمر بن المثنى يقول: (ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحولت مخاطبته إلى مخاطبة الغائب. قال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم)[١] ومن مجاز القرآن ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد. قال تعالى: (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ أَولَىٰ لَكَ فَأَولَىٰ)[٢]).[٣]

وأخيراً نقف عند من خلط بين الالتفات والاعتراض وجعل الالتفات اعتراضاً مثل قدامه بن جعفر (ت٣٣٧هـ) الذي لم يفرق بينهما اذ قال: (الالتفات أنْ يكون الشاعر آخذاً في معنى فيعترضه، اما شك فيه، أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله اذ سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً على ما قدمه، فإما يؤكد أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه).[٤]

كذلك ممن عدَّ الالتفات اعتراضاً ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ)، الذي افرد له باباً سماه باب الالتفات اذ قال: (هو الاعتراض عند قوم، وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به ثم يعود إلى التحول من غير ان يخل في شيء مما يشد الأول كقول كثير: [من الوافر]

لَـو انَّ الـباخِـلـيـنَ وَأنْـــتَ مِـنْـهُـمْ رَأَوْكَ تَـعَـلَّـمُـوا مِـنْـكَ الـمِـطـالا

فقوله وانت منهم اعتراض كلام في كلام قال ذلك ابن المعتز، وجعله باباً على صدقه بعد باب الالتفات وسائر الناس يجمع بينهما).[٥]

أقول: إن هذا البيت الشعري تضمن أسلوبي الالتفات والاعتراض معاً، ففي موضع (وأنْتَ مِنهم) اعتراض، وهي جملة لا محل لها من الاعراب، وزائدة، وإذا رفضت لا يختل المعنى العام للجملتين، إلا أنه يسبب إرباكاً في الوزن الشعري وهي جزء من الأطناب في الكلام، ولكن به فائدة كذلك منحنى النص توكيد وشدّ. اما في موضع آخر من البيت نفسه (رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا) ففيه التفاتّ وتغير في الزمن من الماضي إلى الحاضر. ومما لا شك فيه وعلى رأي الأغلب الأعم ممن تناول هذه الظاهرة بالدرس والتمحيص، ومفهوم المصطلح نجد الجميع أجمع على كون

(١) يونس ٢٢.
(٢) القيامة ٣٣، ٣٤.
(٣) مجاز القرآن ١١/١.
(٤) ينظر: خزانة الادب وغاية الارب ١٣٤/١.
(٥) العمدة ٤٥/٢.

الاصمعي (ت٢١٦هـ) هو أول من أطلق هذا الاسم (الالتفات)، وقد ذكر ذلك صاحب كتاب العمدة، وكذلك من جاء بعده وعمق المفهوم منهم ابن الاثير وحازم القرطاجني. اما ابن المعتز (٢٩٦هـ) فهو من فصل القول فيه وبين انواعه وتقاسيمه وزاد فيه توضيحاً.

واعتماداً على أقدم ذكر للمصطلح كما ذكرنا ورد في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني حين نقل عن إسحاق الموصلي أنه قال: قال لي الاصمعي اتعرف التفات جرير؟ قلت وما هو؟ فانشدوني:

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَىَ بِعودِ بشامة سقيَ البشامِ

ثم قال اما تراه مقبلا على شعره إذ التفت إلى البشام فدعا له. [١] أقول بعد ذلك أنى أميل كل الميل واعتمدُ قول الفريق الثاني الاخفش والزمخشري وابن الأثير بِعَدِّهِمُ الالتفات من البيان؛ لأنه أسلوب دلالي أكثر مِمّا هو أسلوب صوتي أو تركيبي؛ لذا أجد موضعه ضمن علم البيان الأنسب والأقرب له.

ثالثاً: الالتفات حديثاً:

يُعد الالتفات من تنويعات اللغة ذات المتعة الجمالية وهو لون من ألوان الصياغة التي تعتمدُ على الانتقال والانزياح الشكلي والمضمون، وهنا يكون التناسق الفكري؛ لأنّ ((متعة اللغة الفنية هي متعة إعطاء الفكر والشعور المعبر عنها تشكيلاً جمالياً ممتعاً، وعلى اللغة ان تلتزم بأداء هذا التشكيل الداخلي الجمالي الذي يستحيل تحقيقه بدونها وهنا تتجلى الحاجة الشديدة إلى جميع مظاهر الثراء والتنوع في اللغة))[٢] وحين يكون الحديث عن الالتفات عند المتخصصين في العصر الحديث نجد هناك آراء وأقوالاً مختلفة ومنوعة، كما هو الحال الذي سبق أن مر ذكره عند القدماء، فهنا الدكتور احمد مطلوب في كتابه أساليب بلاغية. يرى أن لا مبرر للتفريق بأن يكون الالتفات تارة في علم المعاني، أو مرة أخرى في علم البديع كما ذهب إليه البلاغيون؛ لأنه يرى أنّ مقتضى الحال هو الذي جعل الابداع والمتعة الفنية تتوافر، وهو ينطبق على علم المعاني وعلم البديع؛ لذلك كان له تساؤل هل يمكن استعمال أسلوب الالتفات من غير أنْ يؤدي معنى مطابقاً لمقتضى الحال. [٣]

---

(١) العمدة ٢/ ٤٦.

(٢) علم الأسلوب (مبادئه واجراءاته د. صلاح فضل ٧٠).

(٣) ينظر: أساليب بلاغية/ ١٣٧.

وهنا أجد انه لابد من التنويه الى أن كتاب الدكتور احمد مطلوب البلاغة والتطبيق لم يتطرق إلى هذا الأسلوب أبداً وفي كتابه أساليب بلاغية يضعه في قسمي (علم المعاني وعلم البديع).

أما رأي الدكتور محمد عبد المطلب في حديثه عن الالتفات فيقول: ((فالانتقال يعتمدُ على المخالفة السطحية بين المنتقل والمنتقل إليه، لكن البلاغيون يعيدون الانتظام لهذه المخالفة بالنظر في المستوى العميق وإيجاد نوع من التوافق والانسجام بين طرفي الالتفات، وهذه المخالفة تمثل في الضمائر والاعداد والزمن))[١] وهو لا يقف عند هذا الحد في التعريف والشرح، بل يذهب أكثر من ذلك حين يركز على وحدة السياق بين الملتفت والملتفت إليه؛ لأنه يرى أن تعدد السياق يزيل المخالفة السطحية، وبذلك تفقد بنية الالتفات دورها وفعلها الذي ذهب إليه البلاغيون، ومن ثم يأتي على مثال في قولنا: (أَكْرَمْتُكَ) ففي هذا التركيب ضميران (تاء المتكلم وكاف المخاطبة)، لكن مع ذلك لا يكون هذا التركيب ضمن دائرة الالتفات والسبب أنه كل ضمير يعود إلى طرف التاء للفاعلية والكاف للمفعولية؛ لذا لابد من وحدة السياق.[٢] اما في كتابه البلاغة والأسلوبية فيرى أنّ الالتفات يتميز بطاقة ايحائية مؤثرة تعتمد في بنائها على العدول الذي يمنحها خاصية تعبيرية، وكذلك عدَّ الالتفات ظاهرة اسلوبية ركيزتها انتصال النسق وانتقال الكلام من صيغة إلى أخرى.[٣]

ومن هنا أجد أن الدكتور محمد عبد المطلب قد ربط بين الالتفات والعدول، وجعل العدول هو الالتفات حين تطرق إلى موضوع العدول.[٤]

اما الأستاذ سعيد الغانمي في حديثه عن الالتفات فيعرفه بأنه خطاب شخص بضمير لا يماثلهُ، ويأتي بمثال اياك أعنى واسمعي يا جارة وهو يركز على عملية استعمال الضمائر حين يأتي على ضمير معين، ويخاطب به شخصاً آخر لا يقابله، ومن ثم يعلق على ان الالتفات يمثل مداورة في الخطاب تكون عائقاً أمام عملية التوصيل الاعتيادية، ويفصل القول بين داخل اللغة وخارجها، وكيف يعمل هذا الضمير بانه في الداخل لا يطابق الخارج.[٥]

ولا يقف على ذلك، بل يرى الغانمي أن الالتفات على نوعين تشخيصي وتجريدي ((إذا كان التفات التشخيص يتحقق بنداء الأشياء غير العاقلة فان التفات التجريد يتحقق عبر وصف الذات

(١) البلاغة العربية قراءة أخرى ٣٩٢.
(٢) ينظر: نفسه/ ٣٩٦، ٣٩٧.
(٣) ينظر: البلاغة والاسلوبية ٢٠٤، ٢٠٥.
(٤) ينظر: نفسه/ ١٩٨-٢١٤.
(٥) ينظر: اقنعة النص، ٥١.

بالغيرية، ومخاطبتها باعتبارها شخصاً آخر باستخدام الضمير (انت) بحيث تكون انت هنا لا شخصاً واقعياً أو افتراضياً اخر بل صورة من صور الانا ينم عنها الالتفات)).[١]

واستناداً إلى التعريف الجديد الذي ذهب إليه الغانمي لوصف الالتفات خطاب شخص بضمير لا يقابله، يمكن القول: إن الالتفات موجود في أي ضمير مفرد من هذه الضمائر كما يدعي. وان الشعر الحديث قد استثمر هذه الوسيلة الفنية استثماراً ناجحاً للكشف عن تمرد اقنعة الشاعر.[٢]

وقد أشكل كلٌّ من الدكتور جليل رشيد والدكتور عبد الفتاح لاشين على الزمخشري انه وضع الالتفات ضمن علم البيان؛ لأنّ تقسيم البلاغة ظهر على يد السكاكي، وهو متأخر عن الزمخشري، ومن جانب آخر فإن الزمخشري خالط وشابك بين البيان والبديع وجعلهما علماً واحداً هو علم البيان.[٣]

اما الدكتور طاهر عبد الرحمن فيعد الالتفات اسلوباً بلاغياً تعبيرياً بيانياً، وركز على الأساليب الستة البلاغية التي أشار إليها جمهور البلاغيين، وان القرآن الكريم لا تخلو سورة من سوره منه، لاسيما أسلوب القول وطرقه.[٤]

اما الأستاذ قاسم فتحي سلمان فيرى أنّ (مصطلح التلوين من شأنه أنْ يمنحنا مفهوماً عن الالتفات أوسع من الدائرة التي حصرها البلاغيون المتأخرون فيها فيما يجعلنا في سعة للتحري عن مواضيع تندرج ضمن هذا المفهوم الواسع))[٥] أقول: إن اللغة العربية زاخرة بالأساليب البلاغية التي لها القدرة على التعبير الإبداعي الفني، ومن ذلك الالتفات الذي اعتمد أسلوب الانتقال والانصراف من جهة إلى أخرى وحسب مقتضيات التخطي والانحراف عن النمط اللغوي المتعارف عليه واقعاً هذا الأسلوب يمنح النص متعة جمالية ودلالية بيانية تأخذ مساحة أوسع في محيطها المؤثر عند المتلقي.

تقول نازك الملائكة في قصيدتها (بين فكي الموت):

أيُّـهـا الـلَّـيْـلُ آن أنْ يَـطـغَـى الـمـو ت شـعـاع الـطـمـوحِ فـي مقـلتيّا
لـنْ تَـنـالَ الآهــاتُ مِـنْ خـافـقِ الـمَـوْ ت الـمـار ولـنْ تُـصـغِـي الـحـيـاةُ إليَّا

(١) اقنعة النص قراءات نقدية ٥٤.
(٢) ينظر: نفسه ٥٥.
(٣) ينظر: فن الالتفات ٦٩، ٧٠، والمعاني في ضوء أساليب القرآن ١١٠.
(٤) ينظر: مجلة الدراسات الاجتماعية العدد ١٩، ٢٥ كلية التربية، جامعة صنعاء.
(٥) فن الالتفات في البلاغة العربية ١٦٠.

فـوداعـاً مِـنْ قـلـبِ عـاشـقـةِ اللّيـ ـلِ وداعـاً وأَنْـتَ يـا مَـوْتُ هـيَّـا[١]

انظر لما يمنحه هذا الأسلوب التعبيري من انزياح لفظي عبر نوعية انتقال الكلام من أسلوب الخطاب (أيُّها اللَّيلُ، لَنْ تَنالَ، لَنْ تُصغِيَ) أي أسلوب آخر هو أسلوب المتكلم في قوله (إليَّا، عاشقةِ اللَّيلِ) الالتفات هنا صاحبه اسلوبٌ بيانيٌّ متعالقٌ معه هو التشبيه حين شبهت الشاعرة الليل بالموت وهذا الليل الذي يحمل في جنباته الآلام والآهات والحسرات فهي مستعدة له بعدما ذهب الأمل والحياة والبقاء، كذلك حين نقف عند شاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري في قصيدته الوطن والشباب وهو يقول:

رأوا فـي الـرافِـدَيْـنِ ثَـرىً خصيباً يَـروقُ الـعَـيْـنَ فـانـتـشروا جـرادا[٢]

فالالتفات هنا يكمن حين استخدم الشاعر زمنين مختلفين بدأ بالماضي (رأوا) ومن ثم انتقل إلى المضارع والاستمرار في (يروقُ العينَ) وكان الشاعر يستقرئُ المستقبل، وهذا ما نراه الآن.

وأجدُ أنّ الانحراف الشكلي منح العمق الداخلي تصوراً ذهنياً أكثر دلالة واقناعاً.

فوائد الالتفات:

هو فن من فنون العربية لا يسير على أسلوب واحد في كلامها وقد حقق لها الاقتصاد والايجاز في العبارة، وادخل القبول عند السامع والانتباه. وكذلك التفنن في وقع الكلام والاقتدار على التصرف فيه، ومما تأنس إليه الأذن العربية، ففيه صيانة السمع عن الضجر والملل؛ لان النفوس جُبلت على حب التنقلّ، أيضاً، فنية التنويع في التعبير المثير للاهتمام، وشد المتلقين، والاعراض عن المخاطبين، وفيه تنشيط عند الاخر واستجلاب لصفائه، ومن ثم سهولة وسعة لمناحي الكلام عنده، وهو عامل مؤثر ومساعد للوزن والقافية معاً.[٣]

الاعتراض لغة واصطلاحاً

الاعتراض لغة:

الاعتراض مصدر للفعل الخماسي (اعترض)، والاعتراض بمعنى المنع. وذهب أهل اللّغة في تعريفاتهم إلى اتجاه واحد فقط بعضهم زاد في التعريف والتوضيح والآخر اقتصد القول فيه فهذا

(١) ديوان نازك الملائكة ٤٩٢/١.

(٢) ديوان محمد مهدي الجواهري.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣٢٥/٢ والاتقان في علوم القرآن ٢٢٠/٢ مجلة الدراسات الاجتماعية عدد ١٩ سنة ٢٠٥ التربية/ جامعة صنعاء ص١٤، ١٥.

أبو منصور محمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) يقول: (اعترض الشيء إذا مَنعَ، كالخشبة المعترضة في الطريق تمنع السالكين سلوكها. ويقال اعترض له بسهم إذا اقبل به قبله فأصابه. واعترض الفرسُ في رسنه، إذا لم يستقم لقائده).(١)

وحين نعرج على قول أحمد بن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ) فيعرف الاعتراض بقوله: (اعترض في الأمر فلان، إذا ادخل نفسه فيه وعارضت فلان في الطريق، وعارضته في الكتاب، واعترضت أعطي من أقبل وأدبر، واعترض الفرسُ إذا لم يستقم لقائده).(٢)

إذن ليس هناك اختلاف بين التعريفين السابقين، وكذلك ما ورد عن ابن منظور (ت٧١١هـ) في قوله: (واعترض: انتصب ومنع، وصار عارضاً كالخشبة المنتصبة في النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين سلوكها، ويقال: اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه، واعترض الفرس في رسنه لم يستقم لقائده).(٣)

وعرفه الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) بقوله: ((والاعتراضُ: المنعُ والاصل فيه: أن الطريق إذا اعترض فيه بناء، أو غيره منع السابلة من سلوكه. وصار كالخشبة المعترضة في النهر)).(٤)

فن الاعتراض ضرب من ضروب البلاغة، وقد ورد في القرآن الكريم بشكل واسع ومؤثر، وحسب مقتضى الحال، والغرض المجازي الذي ذهب إليه. ففي قوله تعالى: ((وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ))(٥) فقوله (سبحانه) جملة اعتراضية للمبادرة إلى تنزيه الله رب العالمين. اما في قوله تعالى: ((فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ)).(٦)

(وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ) جملة اعتراضية يقصد بها التعظيم وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول المولى عز وجل: ((وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)).(٧)

فجملة (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ) هي جملة معترضة بين الشرط وجوابه للمسارعة إلى توبيخ المشركين.

---

(١) تهذيب اللغة.
(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/٢٧٢.
(٣) لسان العرب، مادة عرض.
(٤) القاموس المحيط.
(٥) النحل، ٥٧.
(٦) الواقعة، ٧٥، ٧٦، ٧٧.
(٧) النحل ١٠١.

الاعتراض اصطلاحاً:

الجملة المعترضة تحدث جدلية محبَّبة ومقبولة ففي حين تفصل بين أركان الجملتين المتماسكتين المتلازمتين من جهة فهي موضع تقوية وطاقة لكلام، فضلا عما تحدثه من تماسك وشدّ ستتيح فرصة للمتلقي من تعمق المعنى دلالياً.

لذا يقول أهل اللغة عنها ليس لها محل من الاعراب؛ لأنها لا تؤثر على سياق الجملة والرتب النحوية للجملتين، في حين يعدها أهل البلاغة مؤثرة؛ لأن فيها زيادة توضيحية وتوسعة، ودلالة وتشويقاً وجمالاً، وهذا هو المهم للأقناع والتأثير في الوظيفة البلاغية.

وذهب بعضهم إلى القول: إنْ يكون هناك شاعر يأتي بمعنى أول، ثم يعدل عنه إلى غيره أي ينتقل من خلال تركيب معنى إلى معنى مغاير، ثم يعود إليه فيتمه، وهو اعتراض كلام في كلام لكنه بعد ذلك يعود إليه يتمه.(١)

الاعتراض قديماً:

أسلوب الاعتراض هو من الأساليب البلاغية التي حظيت بالدراسة والعناية والتمحيص وذهب بعض البلاغيين إلى أنه من علم المعاني، وذهب آخرون إلى أنه من علم البديع، وكذلك النحاة كانت لهم آراء فيما يختص بنظام الجمل. وتناوله المفسرون بشكل واسع في أحاديثهم عن الآيات القرآنية وهم السباقون الأوائل في تبيان أهداف واغراض وأقسام هذا المصطلح.

ان أول من ذكر هذا الموضوع هم النحاة ولاسيما (سيبويه ت ١٨٠هـ) في باب المنصوب على الشتم، وباب المنصوب على الترحّم، وأورد في ذلك مسألتين، في كل واحدة منها وجهان: أحدهما: الاعتراض: وهذا ما ذهب إليه وبينه تفصيلاً أبو عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) في كتابه الخصائص.(٢)

وقد وردت إشارات كثيرة متأثرة في الأغلب الأعم منها جاء تعليقاً على آية قرآنية، أو جزء منها، أو على بيت شعري، ويذكر فيها الاعتراض، وذلك عند كثير من العلماء الذين سبقوا ابن جني، منهم أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) وهو أستاذ ابن جني ففي قوله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ).(٣)

(١) ينظر: الصناعتين، الايضاح ١٩٧، البرهان ٥٦/٣ كتاب التعريفات.
(٢) ينظر: الخصائص ٣٣٨/١.
(٣) سورة الحديد ١٨٢.

يرى أبو علي الفارسي أنّ قوله: (وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ) لا يمكن ان تكون معطوفة على الفصل المقدر؛ وذلك لو قدرته هكذا فقد فصلت بين الصلة والموصول، وهذا لا يصح اما حمله على الاعتراض فهو أرجح الوجوه؛ لأنه شاع وكثر.(١)

واهمية الاعتراض ومفهوميته تزايدت كثيراً عند ابن جني الذي افرد له باباً من أبواب خصائصه، وذكر فيه المواضع والأهمية إذ يقول: (اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير، قد جاء في القرآن، وفصيح الشعر، ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يشيع عليهم، ولا يستنكر عندهم، ان يعترض بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره، أو غير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بعبره، إلا شاذاً أو متداولاً).(٢)

ثم يأتي بعد ذلك الزمخشري، يدلو بدلوه ويعرج على مواضع الاعتراض. فيذكر منها ما يقع بين الفعل ومفعوله، وبين البدل والمبدل منه، والمعطوف والمعطوف عليه، وغير ذلك، فمن مواضع الاعتراض التي أشار إليها في قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ).(٣)

لذا فهو يعدّ الجملتين من كلام الله، لا من كلام مريم، هما معترضتان بين كلامهما.(٤) اما ابن هشام الانصاري (ت٦٧١هـ) فقد فصل القول في الاعتراض، وأسهب الأمثلة والتعليق عليها سواء من القرآن الكريم أو الشعر أو النثر، وذكر تعريفاً جامعاً مقتضباً للجملة الاعتراضية قال فيه: (المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديداً وتحسيناً).(٥) ومن جملة تعليقاته ففي قوله تعالى: (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ... نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ).(٦) ففي الآيتين جملتان معترضتان هما قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ). فقد اعترض بين جملتين مستقلتين، ولكنهما هنا متصلتان اتصالاً معنوياً؛ وذلك لأنّ الثانية تفسير للأولى.(٧) وهذا إنْ دلَّ على شيء إنّما يدل على أنّه بالإمكان أنّ يعترض بأكثر من جملة.

وحين نتحدث عن الاعتراض عند البلاغيين نقول إنّ هذا المصطلح مرّ بمرحلتين الأولى عدم الاستقرار في التسمية والثانية استقلال المصطلح وثبوته. ففي الأولى من خالط بينه وبين

(١) ينظر: الخصائص ١/٣٣٥-٣٤١.
(٢) الخصائص ١/٣٣٥.
(٣) آل عمران، ٣٦.
(٤) ينظر: الكشاف ١/١٧١.
(٥) مغني اللبيب في كتب الاعاريب ٢٢/٤٩٠.
(٦) البقرة ٢٢٢، ٢٢٣.
(٧) ينظر: مغني اللبيب ٢/٥١٤.

الالتفات ومن خالطه مع الحشو. فمن خالطه مع الالتفات ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) وقدامه بن جعفر (ت٣٣٧هـ) وأبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) وكذلك ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) وقدم علينا تفصيل ذلك في موضوع الالتفات.

أما من خالطه مع الحشو نجد ثلة من علماء البلاغة الذين ذكروا واجمعوا على أن منه ما كان مفيداً والآخر غير مفيد، ويكون حشواً وتطويلاً. اما القسم الأول المفيدة وضعوه ضمن الاطناب، وله أهمية وتوسعة في اللغة والدلالة، ويكون حسناً لطيفاً، ومن هؤلاء أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، وعبد القاهر البرجاني (ت٤٧١هـ) والسكاكي (ت٦٢٦هـ) الذي وضعه من ضمن علم البديع والمحسنات البديعية وكذلك ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، لكنه يضيف ويركز على ان القرآن الكريم يخلو من الحشو وايضاً عماد الدين بن الاثير الذي وضعه من ضمن فنون البديع وكذلك من خالط بينه وبين الحشو ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ويرى انه من بديع الاعتراض والاغلب الأعم من البلاغيين الذي مر ذكرهم علقوا على بيت المتنبي:

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها -وحاشاك- فانيا

على ان هذا البيت فيه حشو وكذلك فيه احتراس.(١) في المرحلة الثانية نقف عند استقلال المصطلح وثبوته وأول من يطالعنا الزمخشري (ت٥٣٨هـ) الذي جمع بين النظريتين النحوية والبلاغية للموضوع وذكر ان الاعتراض أسلوب مألوف في الآيات القرآنية والشعر، وان له فوائد كثيرة في مقدمتها التوكيد وله أغراض مجازية بلاغية كثيرة. منها التزيه، والدعاء والوعيد، والتحكم والتقرير.(٢) اما صفي الدين الحلي (ت٦٧٧هـ) فقد اعترض على من خالط بينه وبين الحشو وقال (ليس بصحيح للفرق الواضح بينهما، وهو أن الاعتراض يفيد زيادة معنى في غرض الشاعر، والحشو لإقامة الوزن فقط)(٣) كذلك لم يخالط بين الاعتراض والالتفات.

وممن رسخ استقلال المصطلح الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) في كتابه الإيضاح وأشار إلى ان الاعتراض يقع في الكلام أو بين كلامين متصلين معنى وهو اما يكون مجلداً أو أكثر وليس له محل من الاعراب ويقع لنكته أي فائدة، واعترض على أنه من المحسنات البديعية، بل أورده في علم المعاني وانه ضرب من ضروب الاطناب.(٤) وعلى هذا الرأي استقر المصطلح وقد وافق سعد

(١) ينظر: فقه اللغة، ٢٤٠، اسرار البلاغة ١٩، مفتاح العلوم ٢٣٤ المثل السائد في ادب الكاتب والشاعر ٤٠/٣ كتاب الفؤاد المشوق لعلوم القرآن ٩٤.
(٢) ينظر: الكشاف ١١٦/٤، ٩٢/٢، ٢١٠/٢.
(٣) شرح الكافية ٣٢٠.
(٤) ينظر: الايضاح، ١٩٧.

الدين التفتازاني (ت٧٩١ه) والزركشي (ت٧٩٤ه) والسيوطي (ت٩١١ه) راي القزويني على ان الاعتراض نوع من أنواع الاطناب ويقع في علم المعاني.(١) ونخلص إلى انه في الأغلب الاعم تكون الجملة الاعتراضية جوهر وبؤرة النص لتمرير أفكار ومضامين معينة وكذلك لما تمنحه من حيل بلاغية.

الاعتراض حديثا:

الاعتراض هو انزياح في المستوى التركيبي لكن هدفه الرئيس غرض بياني ومن ثم فهو ليس حشواً ولا وسيلة لتحسين الكلام، بل هو من أساسيات وركائز النظم.

لم اجدُ في العصر الحديث اختلافاً كبيراً عما قاله القدماء من تعريف للأعتراض، الا من كان مؤيداً لفريق ما، وآخر معارض له، والآخر، الذي أضاف، أو منح المصطلح سعة وأهمية في التركيب والسياق.

فهنا الدكتور أحمد مطلوب يصف الاعتراض بقوله: (يقال: اعترض الشيء دون الشيء. تكفله واعترض عرضه نحا نحوه، واعترض له بسهم أقبل قبله فرماه فقتله وهذا من الفنون التي تحدث عنها المتقدمون وسماه بعضهم التفاتاً). (٢)

لكنه في كتابيه أساليب بلاغية والبلاغة والتطبيق يضعه من أنواع الاطناب في علم المعاني من اقسام البلاغة، ويذهب إلى ما ذهب إليه الخطيب القزويني.

ومن تبنى هذا الرأي الدكتور بدوي طبانة على ان الاعتراض من ضروب الاطناب، وهو يأتي اثناء الكلام بين جملتين متصلتين في المعنى، فيكون مرة واحداً، ومرة أخرى أكثر من جملة، وليس له محل من الاعراب وبه فائدة.(٣)

اما الدكتور تمام حسان فينظر إليه على انه المنع الذي يقف في مجرى النسق التركيبي للجملة ويحول دون ان تتصل أجزاؤه بعضها ببعض اتصالاً تتحقق به مطالب النظام النحوي فيما بينها.(٤)

وقد اعتمد الدكتور عبد العزيز عتيق على التعريفات السابقة للاعتراض على انه الكلام الذي يكون بين كلامين متصلين في المعنى سواء كان جملة أو أكثر ولا محل لها من الاعراب لفائدة غير دفع الايهام ومن ثم ذكر أن الاطناب باعتراض يؤتى به في الكلام من أجل فائدة أو غرض

(١) ينظر: مختصر المعاني، ٢١٤، البرهان ٥٦/٣ معترك الاقران ٣٧١.
(٢) معجم المصطلحات البلاغية ١٤٣.
(٣) ينظر: معجم البلاغة العربية، ٤٨٩.
(٤) ينظر: روائع القرآن، ١٨٣.

بلاغي وجاء على أمثلة قرآنية وشعرية ومن الأغراض المجازية التي ذكرها التنزيه والدعاء.(١) أقول: ان الاعتراض هو عبارة عن مجموعة صور متحركة سيميائية مهيمنة على المشهد في أسلوبها من خلال الانتقال من صورة إلى صورة أخرى؛ مما يبعدُ الملل عند المتلقي.

ويرى آخرون انه فضلاً عما يمنحه من فائدة لتقوية الكلام وتحسينه ودفع الرتابة عنه فهو يعمد على شحن العبارة باليقظة والاثارة، وهو عدول تركيبي.(٢)

اما الدكتور عبد المنعم عبد الله فيرى أن ((الاعتراض في الشعر العربي دليل فصاحة وثقة بالنفس ودقة تعبير وجمال وتصوير وبلاغة واحكام تراكيب وللأغراض في العربية. اذن قيمة تعبيرية كبرى وأثر معنوي عظيم، فلقد بدت من عرض شواهده وصوره حقيقة جلية لا تخفى على دارس، ولا تغيب عن ثابت، وهي ان الأسلوب الذي وقع في ثنايا الاعتراض يحوي فائدة))(٣) ومن ثم فإن أسلوبه قوي واضح فيه تسديد وان دل على شيء، إنما يدل على رحابة التعبير في اللغة العربية وجمال ودقة بنائها الاسلوبي، وهو يتفق مع الرأي السائد على أن الاعتراض من أنواع الاطناب ويقول اذا كانت البلاغة هي الايجاز فلكل مقامه وموضعه، ويرى أن الفائدة في الاعتراض تختلف حسب السياق، وكذلك حسب قصد المتكلم.(٤)

واخيراً أقف عند رأي الدكتور (حواس بري)، الذي يرى أن الاعتراض ظاهرة أسلوبية لها وظائف متعددة تنفع المبدع الذي لا يتقيد بالقاعدة والاكتفاء بالسائد انما يتجاوز ذلك إلى ابعد مدى كي يعطي النص التميز والانفراد.(٥)

فوائد الاعتراض:

بعد القراءة المتفحصة والبحث الدقيق للمصطلح عند المتقدمين والمتأخرين يمكن لنا القول بفوائد الاعتراض وأهميته. ومنها التوكيد وتقوية الكلام وتحسينه والتعليل وبيان الحكم والاهتمام والاحتراس، ومن ثم فإن الجملة المعترضة لا محل لها من الاعراب، أي ليست لها وظيفة نحوية يمكن حذفها دون ان تتأثر الجملة الحاضنة لها، مواضعها واغراضها المجازية متعددة تمنح النص نشاطاً وجمالية وإثارة وحيوية، وتدفع الرتابة، وتشحن العبارة باليقظة.

(١) ينظر: علم المعاني ٩٤.
(٢) ينظر: المفصل في دراسة المجمل واشباه المجمل، ٥٠ ظاهرة الاعتراض في النص القرآني ٣٦.
(٣) الاعتراض في اللغة العربية، ٣٨.
(٤) ينظر: نفسه ٣٥.
(٥) ينظر: وظائف الاعتراض واساليبه، ١٥٧.

الفرق بين الالتفات والاعتراض:

الاعتراض يقع في علم المعاني وهو نوع من أنواع الأطناب. اما الالتفات فلم يستقر على وضعه في قسم من أقسام البلاغة. والاعتراض فيه أغراض مجازية متعددة وله مواضع في الكلام، والالتفات هو أسلوب انتقالي وفيه طرق خطاب متعدِّدة.

كذلك فإن أسلوب الالتفات يتحقق في الكلام بإخراجه من أحد الطرق، وهي التكلم والخطاب والغيبة والاعداد والازمنة والافعال. اما الاعتراض فهو لا يكون كذلك، بل يقع بين جمل تامة المعنى ويأتي بينها لخدمة الجزء الأول أو الثاني من المتلازمين.

والجملة المعترضة يمكن حذفها، وهي لا تؤثر على المعنى العام، ولا على الرتب النحوية، فقط إذا كانت في الشعر تؤثر على الوزن الشعري وموسيقى السياق. أما الالتفات فلا يمكن حذف جزء من الجملة؛ لأنه سوف يسبب خللاً في السياق والمعنى.

وأخيرا فان الاشتباه بين الاعتراض والالتفات راجع إلى التشابه اللغوي فيما بينهما، اذ الاعتراض ينصرف فيه المتكلم عن إتمام معنى سابق؛ ليتحول ويلتفت إلى معنى آخر، ثم يعود للأول، ومن هنا يكون الشبه مع الالتفات.

وموضع الكلمة المعترضة بين الكلمتين يكون وسطاً وبين الكلام ذات السياق الواحد. أما الالتفات فليس كذلك فقد يكون في آخر كلمة طريقة الانتقال.

* * *

خاتمة البحث

ونحن على اعتاب خاتمة البحث نقول:

١. الالتفات والاعتراض ولدا على يد النحويين وترعرعا ونشئا على يد المفسرين واستقر المصطلحان ونضجا على يد البلاغيين.

٢. الاعتراض أكثر استقراراً بوضعه في علم المعاني وضمن أنواع الأطناب. أمّا الالتفات فما زال المصطلح لم يستقر في أحد العلوم البلاغية الثلاثة فهو مغري بوجوده في كل واحد من هذه العلوم. وهذا ما توصل إليه المتخصصون واتفقوا عليه.

٣. وجودهما يمنح الكلام انزياحاً يولد سعةً وتحسيناً وتجدّداً، ودوافع لغوية أكثر تأثيراً.

٤. وسيلة عملهما هي التي منحتهما الاقتراب، وجعلت كثيرين لا يفرقون بينهما. اما تركيبهما وموضع تواجد كل منهما في الكلام فهو الذي سهل معرفة افتراقهما.

٥. الالتفات أكثر أهمية علمية وبلاغية وجوده في الكلام من الاعتراض، والدليل الدراسات الاسلوبية الحديثة.

٦. الالتفات أسلوب بلاغي رئيس ومؤثر. أمّا الاعتراض فهو أسلوب بلاغي مساعد وله فائدة.

* * *

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
٢. اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد الفضلي بيروت-لبنان الطبعة الثانية ١٩٩٩.
٣. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي ٢٠١٠ الطبعة الأولى.
٤. الاعتراض في اللغة العربية د. عبد المنعم عبد الله حسن مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية العدد ١٨٤.
٥. اقنعة النص قراءات نقدية في الادب، د. سعيد الغانمي الطبعة الاولى سنة ١٩٩١، جامعة بغداد.
٦. الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من اسرار بلاغته في القرآن الكريم، مجلة الدراسات الاجتماعية العدد ١٩، المجلد ١٠، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، ٢٠٠٥.
٧. بديع القرآن، ابن ابي الاصبع المصري، مكتبة نهضة مصر، مصر، ١٩٥٧.
٨. البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق د. أحمد بدوي و د. حامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، مطبعة البابي الحلبي واولاده، مصر، القاهرة، ١٩٦٠.
٩. البرهان في علوم القرآن -الزركشي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثالثة.
١٠. البلاغة والاسلوبية د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤، دراسات أدبية.
١١. البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، مكتبة ناشرون، لبنان، دراسات أدبية، ١٩٩٧.
١٢. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد صقر، دار أحياء الكتب العربية، مصر.
١٣. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الازهري حققه وقدم له: عبد السلام هارون، راجعه محمد علي النجار، د.ط.
١٤. خزانة الادب وغاية الارب، أبو بكر علي بن حجة الحموي، القاهرة، ١٣٤٥.

١٥. الخصائص ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
١٦. روائع البيان في علوم القرآن تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الاولى، ١٩٩٣.
١٧. شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلي، تحقيق د. نسيب نشاوى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
١٨. ظاهرة الاعتراض في النص القرآني د. عبد الله خضر، مجلة قسم اللغة العربية وآدابها، مايو ٢٠٣.
١٩. علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، صلاح فضل، دار الشروق، مصر، الطبعة الاولى، ١٩٩٨.
٢٠. علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩م.
٢١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٩٨١.
٢٢. فقه اللغة واسرار العربية احمد بن فارس، شرحه وقدم له وضع فهارسه د. ياسين الايوبي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠.
٢٣. فن الالتفات في مباحث البلاغيين، د. جليل رشيد فالح، بحث منشور في مجلة آداب المستنصرية، العدد التاسع، سنة ١٩٨٤.
٢٤. القاموس المحيط، العلامة محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز ابادي، تحقيق وتقديم د. يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٢٥. كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مؤسسة التاريخ العربي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢٦. كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
٢٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، شرح ومراجعة يوسف الحمادي، مكتبة مصر، الطبعة الاولى، ٢٠١٠م.
٢٨. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى.
٢٩. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر (د. ط)، ١٩٦٢.
٣٠. معاني القرآن، الاخفش الأوسط تحقيق د. فائز فارس، ١٩٨١.
٣١. معاني القرآن، الفراء، بيروت، لبنان، عالم الكتب، ١٩٨٠.
٣٢. معترك الاقران، السيوطي، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي (د. ت).

٣٣. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣.
٣٤. معجم مقاييس اللغة، تأليف ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.
٣٥. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام الانصاري قدم له حسن محمد اشرف عليه إميل بديع يعقوب منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
٣٦. مفتاح العلوم لابي يعقوب السكاكي، طبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠.
٣٧. المفصل في دراسة المجمل واشباه المجمل، سامي عوض، جامعة تشرين، سوريا، ١٩٩٣.
٣٨. وظائف الاعتراض وأساليبه في نماذج وصور عبد اللطيف أحمد الشويرف، د. حواس بري، الأثر مجلة الاداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر العدد الخامس، ٢٠٠٦م.
٣٩. الايضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، تأليف الخطيب القزويني وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣.

* * *